

**دعم الدولة العثمانية  
للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين  
خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني  
دراسة وثائقية**

**د. أماني جعفر الغازي**



## دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين

### خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني - دراسة وثائقية

د. أماني جعفر الغازي

#### هدف الدراسة وأهميتها:

يكمن هدف الدراسة وأهميتها في أنها محاولة بسيطة لإزالة ما يشاع عن الدولة العثمانية من جهل وتخلف، وإدخال بلاد الحجاز عموماً، والحرمين الشريفين على وجه الخصوص في طور من التراجع الفكري والثقافي، وذلك بإلقاء الضوء على دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية فيها، خاصة وأن فترة الدراسة تركز على فترات مختلفة من عمر الدولة العثمانية عموماً، وخلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني على وجه الخصوص، ومع ذلك سيتضح من خلال هذه الدراسة مدى اهتمامها بتقديم العلم والثقافة خاصة لأهالي بلاد المقدسات الإسلامية بالرغم من الظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد، ولم ينس عدد لا بأس به من السلاطين العثمانيين على مدار تاريخهم الطويل أن يعبروا عن مدى حبهم للعلم والمعرفة، ولم تمنعهم إدارتهم للبلاد من الاهتمام بالتعليم والبحث عن زيادة موارده.

#### موضوع الدراسة:

تستعرض الدراسة أبرز وقفات بعض السلاطين العثمانيين خلال حكمهم، لدعم المؤسسات التعليمية في الحرمين الشريفين، وما قدموه من مساعدات مالية ومعنوية وتعليمية وذلك من خلال الفرمانات السلطانية والوقفات التي كان لها أبلغ الأثر في دفع حركة التعليم في المنطقة العربية وخاصة الحجاز.

### النقاط التي ستعرض لها الدراسة:

ستبدأ الدراسة بتمهيد يتم فيه استعراض بعض الفرمانات الصادرة من بعض سلاطين الدولة العثمانية التي توضح رغبتهم خلال فترات حكم الدولة في عصورها المختلفة والتي امتدت أكثر من خمس قرون للنهوض بالحالة الثقافية والتعليمية في البلاد التي تحت إدارتهم أمثال:

سليمان القانوني<sup>(١)</sup> وأحمد الثالث ١١١٥-١١٤٣هـ / ١٧٠٣-١٧٣٠م،  
وعبد الحميد الأول ١١٨٧-١٢٠٣هـ / ١٧٧٣-١٧٨٨م، وعبد المجيد الأول ١٢٥٥-  
١٢٧٧هـ / ١٨٣٩-١٨٦٠م، وعبد العزيز ١٢٧٧هـ-١٢٩٣هـ / ١٨٦١-١٨٧٦م،  
وأخيراً السلطان عبد الحميد الثاني ١٢٩٣-١٣٢٦هـ / ١٨٧٦-١٩٠٩م.

وستوضح الدراسة أيضاً مدى الاهتمام بأمر الحجاز خاصة في فترة السلطان عبد الحميد الثاني.

### منهجية الدراسة:

ستعتمد الدراسة على بعض الوثائق العثمانية وبعض الفرمانات السلطانية التي توضح مدى اهتمام سلاطين الدولة العثمانية بالمؤسسات التعليمية ودفع حركة التعليم فيها، وسيتم مناقشتها وإبراز أهم ما جاء فيها، ثم استخلاص النتائج في الخاتمة التي توضح مكانة الحجاز الدينية والعلمية في الدولة العثمانية.

### حدود الدراسة الزمانية والمكانية:

تتناول الدراسة بعد التمهيد لتوضيح الصورة الحقيقية عن سلاطين الدولة العثمانية والرغبة الحقيقية لديهم للنهوض بالحالة الثقافية والعلمية في البلاد وخاصة

المنطقة العربية والحرمين الشريفين والحجاز، نتناول بعد ذلك بعض الفرمانات السلطانية والأوامر العليا الصادرة من إدارة الدولة العثمانية والباب العالي بإستانبول منذ القرن الثاني عشر الهجري السابع عشر الميلادي، وحتى انتهاء فترة الدولة العثمانية وخاصة خلال فترة السلطان عبد الحميد الثاني، فيما يتعلق بتطوير الناحية التعليمية لأبناء الحرمين الشريفين والحجاز.

وقد قمنا باختيار تلك الفترة كنموذج للتطبيق على الفكرة التي تدور حولها البحث.

### التمهيد:

كان التعليم في منطقتنا العربية عامة وشبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص يبدأ في سن مبكرة (أي ما بين الخامسة والسادسة من العمر)، حيث يتلقى الأطفال مبادئ الكتابة وحفظ القرآن الكريم وتلاوته على يد أحد المشايخ، أو تعليمهم من قبل أحد أفراد الأسرة أو عائلها إذا كان متعلماً أو عالماً، فالعالم هو: المرجع الذي تخرج على يديه الكثير من الطلبة سواء كان عالم فلك أو فيزياء أو دين، أما المتعلم: مازال يبحث عن الفرص للتزوّد بالعلم في أي مكان في الدنيا، وقد يتم ذلك في أحد الكتاتيب التي كانت تعلم القرآن الكريم، ثم يبدأ الغلام في تعلم القراءة والكتابة وبعض العمليات الحسابية البسيطة وقليل من المعارف الدينية واللغوية والعربي<sup>(٢)</sup>.

إن الجزيرة العربية هي مهبط الوحي، ومن أرضها انطلقت أعظم حضارة ورسالة عرفها التاريخ البشري، وعلى نهج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ومن روح الإسلام ومبادئه وتعاليمه استمدت الأساس الأول لبناء مجتمعتها، لذا فقد بدأت مسيرة التربية والتعليم فيها منذ نزول القرآن الكريم على نبينا محمد<sup>(٣)</sup> في غار حراء حينما أمر الله نبيه بالقراءة وامتلثل المسلمون منذ فجر الإسلام وعلى مر العصور

والأزمان لهذا الأمر فجدوا في طلب العلم والسعي في تحصيله امتثالاً لأمر المولى عزوجل، فبدأت نشاطات التعليم قديماً في حلقات الدروس بالمساجد - خاصة الحرمين الشريفين- ثم التعليم في الكتاتيب وهي نوع من التعليم يدرس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة ويلتحق بها غالباً أبناء العائلات التي تسمح ظروفهم المادية بالاستغناء عن مشاركة أبنائهم لهم في تأدية أعمالهم ساعات الدراسة، ثم في (الكتّاب) - وهي مؤسسة تربوية تعليمية قديمة وظيفتها تعليم الكتابة والقراءة، وتخفيف القرآن الكريم كله أو جزء منه، وبعض مبادئ الفقه والحساب، أو مجالس العلماء، وعلى الرغم من أن أرض المملكة العربية السعودية كانت موطن النور الذي ظهر فيها ثم انتشر منها، وعم العالم أجمع في صورة الرسالة الإسلامية التي جعلت العلم والتعليم من أسسها الهامة، وعلى الرغم من أن جزيرة العرب كانت المشعل الذي أثار للإنسانية جمعاء طريق العلم والهداية، فإن هذه البلاد قد أصيبت بفعل الظروف الاجتماعية والسياسية التي طرأت عليها، بنكسة شديدة لم ينج منها في الواقع أي بلد عربي أو إسلامي. وكان من نتائج هذه النكسة أن عم الجهل وانتشر الظلام، مرة أخرى فوق هذه الربوع، وكان من الطبيعي أن تصاب الحركة التعليمية في هذا البلد الأمين بالركود والخمول والجمود فاندثرت فيها مراكز العلم<sup>(٤)</sup> والتعليم التي كانت قبلة الأنظار في جميع بلدان العالم الإسلامي، ولم يبق من ذلك كله سوى عدد قليل من الكتاتيب، وبعض الجهود والمبادرات الفردية التي قام بها نفر من أبناء البلاد، وبعض أبناء الجاليات الإسلامية من المهاجرين إلى البلاد المقدسة ممن تأثروا في تعليمهم بالأفكار التربوية الجديدة التي تسربت إلى الهند، وتركيا من خارج الأقطار الإسلامية، وأدت إلى تأسيس بعض المدارس الأهلية مثل المدرسة الفخرية ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م الصولتية بمكة المكرمة عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م، ومدارس الفلاح في جدة ١٣٢٣هـ / ١٩١١م، وفي مكة المكرمة ١٣٣٠هـ، والمدرسة الخيرية.

وكان يطلق على المعلم في الكُتّاب لقب الشيخ، أو المؤدب أو المطوّع، والمعلم والفقير والملاّ<sup>(٥)</sup> داخل الحجاز والحرمين الشريفين، وكانت هناك شروطاً لابد من توافرها في المعلم الشيخ (المؤدب - المطوع) باعتباره قائم على تربية وتعليم النشأ الصغير مثل رسوخ عقيدته الإسلامية لديه، وإمامه بالمواد التي يدرّسها، مراعاة ميول وحاجات الأطفال، ومعاملتهم.. إلخ، ولم يقتصر دور المؤدب على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فقط، بل كان حريصاً على تنشأتهم النشأة الصالحة، وغرس الأخلاق في نفوسهم والمبادئ الحميدة أيضاً<sup>(٦)</sup>.

وكان التعليم مجّاناً حينذاك، إذ يقوم الأثرياء بتأسيس وافتتاح بعض الكتاتيب ويشاركونهم في ذلك بعض رجال الدولة من القضاة أو الولاة وغيرهم، حيث رصدوا لها عدة أوقاف ليتم الصرف منها على رواتب المشايخ والعاملين فيها، والصرف على كل ما يتعلق بنفقات الطلاب من الغذاء والملبس، وخاصة الصرف على الأيتام والفقراء منهم، أما إذا كان الشيخ هو مؤسس الكتاب نفسه فإنه يتقاضى أجراً زهيداً كان يطلق عليها (الخمسية)<sup>(٧)</sup>.

هذا هو شكل المؤسسة التعليمية داخل الجزيرة العربية ومنها الحجاز بطبيعة الحال، وغيرها من المناطق العربية الأخرى، وذلك قبل دخولها تحت حكم الإدارة العثمانية، وسوف يتم إلقاء الضوء على نوعين من أنواع التعليم والمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين الشريفين خلال العهد العثماني، وهما: التعليم بالداخل من خلال هذه المؤسسات التعليمية، والتعليم بالخارج من خلال "مدرسة العشائر" بإستانبول.

## أولاً: دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية بالحجاز والحرمين الشريفين (التعليم بالداخل):

دخل الحرمين الشريفين والحجاز تحت النفوذ العثماني في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وأن العثمانيين حافظوا على الأوضاع السائدة في بلاد الحرمين الشريفين، ولاسيما الوضع الثقافي والاجتماعي والإداري، وكان التقسيم الإداري في أوائل الحكم العثماني يختلف عن آخره، فمع تسمية الوالي الذي يتم تعيينه من إسطنبول - في البداية بأمير الأمراء، وتسمية أمير المدينة المنورة - الذي يعين من إسطنبول - بشيخ الحرم، وتسمية أمير مكة المكرمة - الذي يختار من الأشراف - بشريف مكة المكرمة، إلا أنه تغير اسم بعض تلك الوظائف في العهد الأخير، حتى أصبح يطلق على الأول والي الحجاز، وعلى الثاني محافظ المدينة المنورة، وأحتفظ الباقي بالتسمية نفسها، وكانت ولاية الحجاز تتكون من ثلاث سناجق هي (مكة المكرمة وهي مركز الولاية، والمدينة المنورة، وجدة) في الوقت الذي كانت فيه جدة تشكل مع الحبشة إمارة في بدايات عهدها، وكان والي جدة نفسه شيخاً للحرم المدني، ولاسيما إذا حاز رتبة الوزارة<sup>(٨)</sup>.

### ١ - مكة المكرمة:

من المرجح أن الدولة العثمانية لم تفرض سيطرتها على منهجية المؤسسات التعليمية داخل الولايات العربية، بل إنها أقرت تقاليد منهجية التعليم الموجودة في كل ولاية أو مركز، كالمساجد والجوامع، وعادة ما كان العلماء والمدرسون يتوجهون إلى المساجد بدعوة منها وبصحبتهم الطلاب، ويتجولون في أنحاء الولاية لإلقاء دروسهم وخبراتهم التعليمية لإكساب الطلاب والدارسين خبراتهم العلمية في شتى الفنون الدينية والتربوية والإنسانية وغيرها. وقد تبوأ الحرمين الشريفين (مكة

المكرمة والمدينة المنورة) مكانة عالية في مقدمة هذه المساجد الجامعة التي كان لها دور بارز ومهم من الناحية التعليمية والثقافية في ذلك الوقت، ليس على مستوى شبه الجزيرة العربية، وإنما على مستوى العالم الإسلامي بشكل عام.

### فلقد شهد التعليم ثلاث مراحل أو أنماط تتمثل في:

- تعليم حكومي نظامي: كانت تشرف عليه الدولة العثمانية ويتخذ اللغة التركية أساسا للتعليم، وقد وجد هذا النوع من التعليم في مكة المكرمة والمدينة المنورة والإحساء.
- تعليم أهلي يمол ويدار بواسطة الأهالي، وهو قريب من التعليم التقليدي خاصة في مناهجه وطرق التدريس فيه.
- التعليم في المساجد: يعد المسجد مؤسسة هامة من مؤسسات التربية الإسلامية، ولم يقتصر على أن يكون مقرا للعبادة فقط، بل كان مكانا للتعليم والتربية ومدرسة للعلوم والآداب؛ كانت المدارس<sup>(٩)</sup> تتفاوت في حجمها ومواقعها ونوعية مرادياتها، وقد كان الحرمين الشريفين من أشهر المساجد التي كانت مراكز للعلم والتعليم وقيادة الأمة الإسلامية. لقد كان الطلاب الذين يتخرجون من الكتاتيب والمدارس الدينية والراغبين في إكمال دراستهم التخصصية يتجهون إلى الحرمين الشريفين، حيث كانت حلقات التعليم عامرة بطلبة العلم، حيث يدرسون (علوم معينة)....، كان التعليم في الحرمين الشريفين أعلى مرحلة للتعليم الديني والعربي؛ فلقد كان لهما الفضل الكبير في حفظ علوم الدين واللغة العربية، وإيجاد بيئة علمية تقوم على التفريغ للدرس والتحصيل، وكان هناك بعض المساجد التي أكد عليها بعض المؤرخون في إقليم نجد وعسير وحائل والإحساء، وكان لها جميعا دورا كبيرا في الإشعاع الثقافي والمعرفي للمجتمع، وكانت منارة ثقافية لأبناء تلك المناطق ومنها:

جامع مينة الدرعية، جامع مدينة الرياض، وفي حائل الجامع الكبير في (برزان) وغيرها<sup>(١٠)</sup>.

في البدء قامت الإدارة العثمانية بحصر تلك المؤسسات التعليمية، للتعرف على أوقافها، وحصر المستخدم منها، وكذلك المتوقف منها عن العمل<sup>(١١)</sup>.

وأخذت الدولة العثمانية على عاتقها الإشراف والاهتمام بتلك الأوقاف من خلال القضاة الذين كان يتم تعيينهم في شتى الولايات، ولم تكتف الإدارة العثمانية بالسعي والحفاظ على تلك المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت موجودة بالفعل قبل الوجود العثماني في المنطقة، بل سعت إلى تطويرها حيث أولى السلاطين والولاة والقضاء - حتى في مرحلة ضعف الدولة العثمانية - قبل اهتمامهم بالمؤسسات التعليمية، فعملوا على إنشاء مؤسسات تعليمية جديدة، وترميم القديم منها، حتى يؤدي دوره العلمي المنوط به، فقامت هذه المؤسسات بدورها الفعّال في بلاد الحجاز، إضافة إلى المركزين التعليميين الكبيرين المتمثلين في الحرم المكي والحرم النبوي. إذ كان السلاطين العثمانيين يغدقون عليهما الأموال الوفيرة ويوقفون أوقافاً سلطانية على تلك الأماكن المباركة حتى قبل ضم البلاد إلى إدارتهم، فكان كل اهتمامهم متوجّهاً إلى رعاية تلك الأماكن وتوجيه كبار رجال الدولة للرعاية والاهتمام بها أيضاً.

وبعد دخول البلاد المباركة الشريفة تحت إدارة الدولة العثمانية بدأت الدولة وسلطينها في إرسال ما يطلق عليه بـ"الصّره الهمايونية أو السلطانية سنوياً"<sup>(١٢)</sup> مع قافلة الحج السنوي، وبصحبته المال الوفير، الذي كان يصرف منه على العديد من الأنشطة الخيرية ومجهودات العلماء وطلاب العلم في تلك الأماكن المقدسة<sup>(١٣)</sup>.

وبالإضافة إلى ما كان في المدينتين الشريفتين من مدارس ومراكز ثقافية وتعليمية، إلا أن بعض السلاطين العثمانيين على مدار تاريخها الطويل، لم ييخلوا

بأموالهم وفكرهم في النهوض بالحركة العلمية والتعليمية في البلاد، ومنها على سبيل المثال ذلك الفرمان السلطاني الصادر من السلطان "سليمان القانوني" <sup>(١٤)</sup> ببناء المدارس السلطانية الثقافية الأربعة جنوبي المسجد الحرام بمكة المكرمة، وقد خصّ بها أئمة المذاهب السنية الأربعة <sup>(١٥)</sup>، كما قام السلطان القانوني أيضاً بإصدار أوامره السلطانية العالية لإنشاء "دار الحديث" لتدريس فقه المذهب الحنبلي <sup>(١٦)</sup>.

وتوالت الأوامر السلطانية في هذا الشأن، حيث انصبت على الاهتمام بالمدارس السليمانية- نسبة إلى السلطان سليمان القانوني- على أكمل وجه سواء من الناحية الثقافية التي تقدمها، أم من الناحية الإنشائية والمعمارية وإعادة ترميمها إذا لزم الأمر، فصدرت العديد من الأوامر والفرمانات السلطانية الخاصة بهذا الشأن إلى أمراء مكة المكرمة، تنص على ضرورة القيام بعمل ما يلزم من ترميمات وصيانة لتلك المدارس.

ومن هذه الفرمانات السلطانية التي توصي أمراء مكة المكرمة بالاهتمام بهذه المدارس والقيام بصيانتها وترميمها-على سبيل المثال - الحكم الصادر بتاريخ أوائل جمادى الآخرة عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٩م من السلطان العثماني إلى أمير مكة المكرمة (الشريف عبدالكريم) <sup>(١٧)</sup> وإلى قاضي مكة المكرمة أيضاً حينذاك- والذي ينص على ضرورة القيام بترميم وإصلاح ما خرب من مباني إحدى المدارس الأربعة <sup>(١٨)</sup>؛ وذلك نتيجة لسقوط الأمطار الشديدة على مكة المكرمة في ذلك العام، مما أدى إلى خرابها، وسقوط أجزاء من جدرانها، ولذلك فقد تقرر صرف مبلغ ٢٥٠٠ قرشاً للقيام بإعادة هذه الجدران إلى طبيعتها مرة أخرى، وصرف مبلغ ١٥٠٠ قرشاً لترميم المدارس الثلاث الأخرى <sup>(١٩)</sup>.

وهناك رسالة موجهة أيضاً من السلطان العثماني أحمد الثالث (١٠٨٤-١١١٥هـ) إلى قاضي مكة المكرمة، ووالي جدة، وهي مؤرخة في ٢٨ رجب

١١٣٧هـ / ٢١ مارس ١٧٢٥م، تقضي بصرف مبلغ ٣٠٠٠ قرشاً لترميم المدارس السليمانية في مكة المكرمة<sup>(٢٠)</sup>.

واستمر إنشاء المدارس والإهتمام بها طوال فترة الحكم العثماني للحجاز، بل وتخصيص الميزانية المالية الخاصة بها، حيث أمر السلطان عبدالمجيد ١٢٥٥هـ-١٢٧٧هـ / ١٨٣٩-١٨٦١م بإنشاء وقف له "بموجب الأوامر العالية التي تقضي بإنشاء وقف جليل لجناب السلطان به مدرسة ومكتبة وسبيل في مكة المكرمة...<sup>(٢١)</sup>.

وأمر أيضاً ببناء مدرسة باسمه تضم مكتبة دار للتوقيت (للاذان والصلاة) في مكة المكرمة، أطلق عليها المدرسة المجيدية- نسبة للسلطان عبد المجيد- وقد اكتمل بناؤها بعد وفاته بعامين، ويتضح ذلك من التقرير المرسل إلى الصدر الأعظم عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م<sup>(٢٢)</sup>.

وفي عهد السلطان عبدالعزيز ١٢٧٧هـ-١٢٩٣هـ / ١٨٦١-١٨٧٦م قرر مجلس الأحكام العدلية إتمام مبنى المدرسة المجيدية في مكة المكرمة بموجب تقرير من والي جدة مؤرخ في ٢٨ جماد الأولى ١٢٨٠م<sup>(٢٣)</sup>.

وقد أنشأ السلطان عبدالحميد الثاني ١٢٩٣هـ - ١٣٢٧هـ / ١٨٧٦-١٩٠٨م مدرسة دار الشفقة في مكة المكرمة وذلك في إطار الاتجاه لتنشيط الجامعة الإسلامية، وقد جاءت على غرار الأصل الموجود في إسطنبول، وذلك للمرحلتين: الإبتدائية والرشيديية (الإعدادية)؛ لتعليم أبناء أهالي الحجاز، وإعدادهم جيداً للالتحاق بالكلية الإسلامية التي تقرر إنشاؤها في الطائف، والتقرير يوضح سؤال مهم عن مقدار المبالغ المطلوبة من نظارة المالية والأوقاف والخزينة السلطانية لإنشاء هذه المدرسة واستكمال بناء المبنى وترميمه<sup>(٢٤)</sup>، كما افتتح في عهده مدرسة متوسطة لتعليم أبناء الأهالي المعرفة والعلم اللازم لأعمارهم<sup>(٢٥)</sup>.

## ٢- المدينة المنورة:

لم تكن المؤسسات الثقافية والتعليمية بالمدينة المنورة أقل حظاً وحالاً من مثيلاتها في مكة المكرمة خلال العهد العثماني؛ فقد نالت أيضاً اهتمام إدارات وحكومات الدولة العثمانية في مختلف عصورها وبشكل كبير، فصدرت في هذا الشأن العديد من الفرمانات السلطانية للاهتمام بأوضاعها، منها على سبيل المثال ما حدث في عهد السلطان عبدالحميد الأول، حيث أسست المدرسة الحميدية في المدينة المنورة، وقد أخذ على عاتقه إتمام البناء فيها، ورصد لها مبالغ مالية تقدر بـ ٣٠٠٠ درهماً عثمانياً<sup>(٢٦)</sup>، وذلك حرصاً منه على تطوير نظام التعليم في المدينة المنورة، وصدرت أوامره أيضاً بضرورة العمل على توسيع المدرسة الملحقة بمسجد قباء عام ١١٩٥هـ / ١٧٨١م، على أكمل وجه، وعمل اللازم فيها من الترميمات والصيانة للحفاظ عليها<sup>(٢٧)</sup>.

وجاء السلطان عبدالحميد ١٢٥٥هـ - ١٢٧٧هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦١م ليولي المؤسسات التعليمية في المدينة المنورة إهتماماً خاصاً، يتضح ذلك من متابعته الحريصة لمدى فاعلية أداء المدارس التي أوقفها أصحابها للتعليم، للوظيفة التعليمية التي أنشئت من أجلها، والتي انتقلت إليه من غيره مع مرور الزمن، حيث يتضح ذلك من خلال سلسلة من المراسلات لمجلس المعارف العمومية<sup>(٢٨)</sup>.

ويبدو أن المدارس والمكتبات الموجودة بالمدينة المنورة كانت أكثر من غيرها بين مناطق الحجاز مثل مكة المكرمة، وجدة، والطائف، والسبب في ذلك يعود إلى إهتمام الدولة العثمانية بمدينة الرسول الكريم، ولوجود العلماء الذين توطنوا المدينة المنورة أو طلبة العلم الذين كانوا يفدون من أنحاء العالم الإسلامي للتلمذ على يد أولئك العلماء<sup>(٢٩)</sup>.

وأُسست في عهده أيضاً عدد من المدارس المتصلة بالحرم النبوي الشريف التي أمر شخصياً بإنشائها وتأثيثها<sup>(٣٠)</sup>.

كما أسست مدرسة (ساقزلي)<sup>(٣١)</sup> في المدينة المنورة؛ لتقديم خدمات التعليم لأبنائها<sup>(٣٢)</sup>.

وقد استمر إنشاء المدارس طوال عصور الدولة العثمانية في المدينة المنورة، حيث أُفتتحت مكاتب أي مدارس (الصبيان) و(رشدية) أي الإعدادية وغيرها من المكاتب التعليمية الأخرى<sup>(٣٣)</sup>، وأنشئ عدد غير قليل من المدارس الإعدادية فيها<sup>(٣٤)</sup>. وأُستبدلت بعض المدارس لتناسب مع الأسلوب العصري المتطور في منهجيتها خلال تلك الفترة، فأُستبدلت المدرسة الرشدية بالمدينة المنورة بالمدرسة الإعدادية مع إصدار الأوامر السلطانية بتخصيص ما يلزم لها من مدرسين ورواتب<sup>(٣٥)</sup>.

الحقيقة أن الحركة الثقافية والتعليمية، ومنها المكتبات التي كان يهتم بإنشائها رجال الدولة العثمانية في بلاد الحرمين الشريفين، باعتبار أن المكتبة مرفق من مرافق المعلومات، والتي تهدف إلى نشر الثقافة والوعي الفكري في جميع اتجاهاته الإيجابية، وعلى رأس هذه المكتبات: مكتبة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. ففي المدينة المنورة أنشئت مكتبة السلطان محمود الثاني، والسلطان عبد الحميد الأول، وفي مكة المكرمة أنشئت مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، هذا بالإضافة إلى أن جميع المدارس المنشئة في الحرمين الشريفين، كانت تحوي مكتبة كبيرة<sup>(٣٦)</sup>، ومن ثم المؤسسات العلمية والمدارس قد بلغت ذروة الاهتمام بها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني؛ إذ قامت بدور مهم في نشر الثقافة الدينية والمفاهيم التعليمية في أنحاء الدولة العثمانية، ومنها الجزيرة العربية، خاصة منطقة الحرمين الشريفين، وذلك في إطار

خدمة أهدافه نحو تطبيق فكرة الجامعة الإسلامية وتضامن المسلمين تحت مظلة الخلافة العثمانية.

وقد قام السلطان عبدالحميد الثاني كغيره من السلاطين العثمانيين بإنشاء العديد من المدارس الحديثة والمتنوعة، كالمدرسة المتوسطة الحميدية- نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني- بالمدينة المنورة، وذلك لحاجة أطفال وأبناء المدينة إلى المزيد من نوعية هذه المدارس، وللتوسع في تحصيلهم العلمي<sup>(٣٧)</sup>.

كما اهتم أيضاً بمشروع إنشاء مدرسة وقف والدرة السلطان عبدالعزيز بالمدينة المنورة، من حيث تمام بنائها وتأثيرها على أكمل وجه<sup>(٣٨)</sup>.

وقد توج السلطان عبدالحميد الثاني أعماله بتدشين الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد كان هدفها لم شمل الجامعة العثمانية ضد الاستعمار الغربي، والحفاظ على وحدة أراضي الدولة العثمانية، وقد أسست بتوصية وتوجيه من الأمير شكيب أرسلان<sup>(٣٩)</sup> خلال عهد السلطان عبدالحميد الثاني الذي وافق على هذا الأمر بشدة، وقد أطلق عليها تارةً دار الفنون، وتارةً الكلية الإسلامية، والمدرسة الإسلامية تارةً أخرى<sup>(٤٠)</sup>.

ولم يقتصر إنشاء المدارس فقط على السلاطين العثمانيين، بل شاركهم الأثرياء من التجار، وكبار موظفي الحكومة العثمانية في السعي إلى ذلك أيضاً، فهذا معروض مقدم للسلطان عبدالحميد الثاني من الصدر الأعظم يطلب منه الإذن بتجديد مدرسة المرحوم بشير أغا- أغا دار السعادة الأسبق- والتي تبين بالكشف على مبانيها أنها في أشد الحاجة للترميم والتوسيع نظراً للإقبال الشديد على التعلم فيها. ومن حاشية الوثيقة يتضح أن السلطان عبدالحميد قد رصد لها المبالغ المالية الكافية لترميمها<sup>(٤١)</sup>.

وهناك تقرير مرسل إلى الباب العالي يوضح ويشير إلى ما يلي:

"نظراً إلى شدة حاجة المدينة المنورة إلى إنشاء مدارس فيها، فقد قام (طاهر أغا)<sup>(٤٢)</sup> قبل وفاته بشراء أرض فضاء بالمدينة المنورة لإنشاء (المدرسة اللطيفة) لتقام عليها، وقد قام المشار إليه بوقفها للعمل الخيري؛ ولهذا السبب فقد قام الديوان الهمايوني بإرسال أوامره العليا إلى قاضي المدينة المنورة، وإلى الأغا شيخ الحرم النبوي لتعيين ما يلزم من مدرسين ومعلمين لهذه المدرسة الجديدة، بشرط أن يكونوا من السادة الأفاضل، وأصحاب التدين والالتزام، وسوف يتم تعيين البعض منهم براتب ٦٠٠ أقة<sup>(٤٣)</sup>، والبعض الآخر على راتب ١٥٠ أقة. كما أنه سيتم تخصيص رواتب لعدد من الطلبة وملازم<sup>(٤٤)</sup>، وبواب ومؤقت<sup>(٤٥)</sup>، وفراش لخدمة مدرسي وطلاب هذه المدرسة<sup>(٤٦)</sup>.

وقد صدر هذا الأمر السلطاني، وأرسلت صورة منه إلى إدارة حسابات الحرمين الشريفين<sup>(٤٧)</sup> الخاصة للبدء في تنفيذ ذلك، وأرسلت صورة أخرى منه إلى الديوان الهمايوني<sup>(٤٨)</sup>.

وهناك وثيقة أخرى مرسله إلى قاضي مكة المكرمة محمد نور الدين لإبلاغه بأن قاضي مكة المكرمة السابق عماد الدين قام بالتبرع بأرض فضاء، ووقفها من أجل إنشاء مدرسة جليلة ومكتبة عليها، ولا بد من تدبير ما يلزم لهذه المدرسة من مدرسين وأمناء للمكتبة ومؤقت لها أيضاً<sup>(٤٩)</sup>.

وفي عهد السلطان عبدالحميد الثاني أنشئت مدرسة في قباء من قبل كبير مرافقي السلطان العثماني وباستحسان وتشجيع من السلطان نفسه<sup>(٥٠)</sup>.

ومما لاشك فيه أنه بجانب هذه المؤسسات التعليمية الموجودة في الحجاز، كان هناك أيضاً نمطاً ثالثاً للتعليم، وهو (التعليم الأهلي النظامي) في الحجاز....

فهذا النمط تقليدي في جوهره وبداياته، وإن كان يحاول أن يجدد من أساليب التدريس وطرائقه، وأن يدخل بعض المواد الدنيوية التي يحتاجها المجتمع، وقد إنتشر هذا النمط من التعليم بشكل كبير في مكة المكرمة ثم تلتها الإحساء، ولقد كان يقوم على جهود الأفراد في بداياته من القادرين من أبناء المنطقة أو أبناء الجاليات الإسلامية.

ومن أهم المدارس الأهلية: المدرسة الصولتية، والتي أنشأت في مكة المكرمة على يد امرأة هندية ثرية تدعى (صولت النساء)، فقد عرض عليها الشيخ محمد العثماني أن تأسسها ابتغاء للأجر من الله، فقبلت وطلبت من الشيخ محمد أن يديرها ففعل...وقد أسهم مسلمو الهند في تقديم المساعدات لهذه المدرسة، وقد استمرت هذه المدرسة حتى قامت مديرية المعارف فأصبحت من المدارس الحكومية.

والمدرسة الفخرية العثمانية والتي أنشأها الشيخ عبد الحق قاري أحد أساتذة المدرسة الصولتية، وقد اعتمد في تمويل هذه المدرسة على مساعدة الجالية الهندية.

والمدرسة الخيرية كان الهدف من إنشائها نشر العلوم الدينية الصحيحة، وتعليم الناشئة العقيدة الصحيحة حتى يكونوا لغيرهم وقد أنشأها الشيخ محمد حسين الخياط.

ومدرستا الفلاح وقد أنشأهما (محمد علي زينل) فقد أنشأهما أولاً في جدة ثم أسسها في مكة المكرمة، وهاتين المدرستين من أهم الأحداث التعليمية التي شهدتها منطقة الحجاز في مطلع القرن العشرين، لأنه تخرّج فيها عدد كبير من رجال الأدب والعلم والفكر والسياسة الذين تقلّدوا مناصب في الدولة، وكان لهما الإسهام الكبير في نهضتها الحديثة<sup>(٥١)</sup>.

والحقيقة أنه بإلقاء نظرة على أعداد المؤسسات التعليمية التي كانت داخل الحجاز (مكة المكرمة - المدينة المنورة) سوف يتضح مدى اهتمام الإدارة العثمانية بالناحية الثقافية عموماً، والعلمية والتعليمية على وجه الخصوص في هذه المناطق<sup>(٥٢)</sup>.

ثانياً: الاهتمام بأبناء الحرمين الشريفين والمسلمين للتعليم بإسطنبول (مكتب العشائر بإسطنبول نموذجاً):

في ضوء قيام السلطان عبدالحميد الثاني، بتبني فكرة الجامعة الإسلامية وسعيه الدائم للتقرب من العرب واحتواء المسلمين من العناصر غير التركية داخل الدولة العثمانية، وإبعادهم عن التحريضات الخارجية ضد الدولة، فقد قام بإصدار أوامره لإنشاء (مكتب العشائر) عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م، وكانت هذه المحاولة منه هي أحد التدابير الأساسية لإحتواء المسلمين<sup>(٥٣)</sup>.

وكانت هذه المدرسة تتبع القصر العثماني، ولم تكن مفتوحة لعامة الشعب، ولكنها كانت مؤسسة تعليمية خاصة، وقد ضمت في بادئ الأمر أبناء العشائر العربية، ثم ضمت بعد ذلك أبناء العشائر الكردية والأرناؤوطية، وبمرور الوقت ضمت أطفال كل العشائر في الدولة العثمانية، وكان الهدف من تخريج هؤلاء الطلاب من تلك المدرسة، هو توفير العدد الكافي من المعلمين والإداريين في الولايات العربية والكردية والألبانية، وتستطيع أن تخدم أهلها عند عودتهم إلى بلادهم وعشائرهم مرة أخرى، كما يستطيعون تنفيذ فكرة الوحدة الإسلامية وتساعد على تنفيذ فكرة ترابط العالم الإسلامي التي كان ينادي بها السلطان عبدالحميد الثاني<sup>(٥٤)</sup>.

### أسباب إنشاء مكتب العشائر:

كانت قبائل الجزيرة العربية وخاصة تلك التي تعيش في وسط الصحراء، والتي كان يمر من خلالها طريق الحج الشريف، هي أكثر ما كان يشغل بال الإدارة العثمانية وكبار رجال الدولة العثمانية وعلى رأسهم السلطان عبد الحميد الثاني، سواء أكان هذا الأرق من الناحية التعليمية والثقافية والفكرية، أم من الناحية السياسية والاجتماعية أيضاً، وكانت الدولة تهدف إلى تطوير الولايات العثمانية العربية في كل النواحي الفكرية والثقافية والاجتماعية والصحية وغيرها، وخصوصاً أهالي العشائر التي تبعد عن المدن ولم تنل قسطاً وافراً من المدينة والحضارة والتعليم والثقافة.

وكانت الإدارة العثمانية في الوقت نفسه تعلم جيداً مدى الصعوبات التي تواجه الراغبين منهم في التعلم بالداخل، وذلك لصعوبة انتقالهم إلى المدن التي بها مدارس أو مؤسسات تعليمية، ومن خلال الأمر السلطاني التالي الصادر من السلطان عبد الحميد الثاني إلى الصدر الأعظم حينذاك سوف يتضح للقارئ من خلاله الأسباب التي أدت إلى اتخاذ مثل هذه النوعية من التعليم، وقد جاء فيه:

"إن أهالي العشائر العربية ينقصها معرفة المزيد من العلوم الدينية المتعلقة بالصلاة والصيام والزكاة والنكاح، والتي تعدّ من الأسس الإسلامية المهمة في تلك المناطق، ولذلك فقد صدر أمرنا السلطاني العالي، وتقرر إرسال ثلاثة مدرسين على قدر عال من العلوم الدينية وسوف يتوجهون نحو مناطق (الجوف) وذلك من أجل القيام بالوعظ والإرشاد بين أهالي وعشائر البدو في هذه المناطق، وللقيام أيضاً بتدريس بعض المواد الفقهية الأربعة، وبعض الأمور الدينية الأخرى؛ لأن هذا سوف يؤدي إلى دخول هذه القبائل والعربان والعشائر في طاعة الدولة والإدارة العثمانية عن فهم وإدراك. وبناءً على ذلك فقد صدر فرمان السلطان العالي بصرف رواتب

لهؤلاء المدرسين الذين سيقومون بالتدريس هناك، وهم: محمد يس أفندي، وهو أحد العلماء والمدرسين الذي سوف يتم صرف راتب شهري له مقداره ٦٠٠ قرشاً، والمدرس هاشم أفندي ويتم صرف مبلغ ٥٠٠ قرشاً شهرياً، والمدرس محمد الملا أفندي ويتم صرف مبلغ ٤٠٠ قرشاً شهرياً، وسوف يتم إرسال هؤلاء المدرسين نحو مناطق (الجوف) وسناجق<sup>(٥٥)</sup> (حوران) و(حما) وهما من مناطق الشام أيضاً<sup>(٥٦)</sup>.

وهكذا اتضح من خلال الوثيقة السابقة كيف أن السلطان عبدالحميد الثاني تبنى فكرة الجامعة الإسلامية واتبع شتى الوسائل لتفعيلها داخل بعض مناطق الجزيرة العربية، وذلك برغبة منه وسعي للتقرب من العرب فيها عموماً، ومناطق الحجاز (مكة - المدينة) على وجه الخصوص، وأدى ذلك إلى سعيه في إنشاء وتأسيس مدرسة العشائر عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م.

ويمكن التعرف على الأهداف التي كانت وراء إنشاء مثل هذه النوعية من المدارس، وتمسك السلطان عبدالحميد الثاني بتعليم العشائر من خلال ما ورد في الوثائق العثمانية كما يلي:

- ١- نشر المعارف وتعميم العلوم وتنوير الأذهان بتحصيل العلوم الدينية والدنيوية.
- ٢- تلقين الأطفال العلوم التي تؤهلهم للتمييز بين الحق والباطل.
- ٣- تسهيل أمور التعليم لأبناء العشائر والقبائل الساكنة في البرية منذ زمن طويل.
- ٤- عدم التهاون في تلقي العلم والقرآن الكريم والكتابة لأبناء العشائر والقبائل العربية كما كان يحدث في السابق، وحسبما تقتضيه أمور دنياهم في المعيشة البسيطة التي كانت تبعدهم عن الاطلاع على دقائق الحضارة والتقدم.
- ٥- عدم التمييز بين مواطني الدولة العثمانية في تلقي العلم وتحصيله.
- ٦- تحصيل أولاد القبائل العربية ما فقدوه منذ زمن بعيد من المعارف والفنون.

دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين د. أماني جعفر الغازي ٢٧٣

٧- تلقي العلوم والإطلاع على ما أظهره العالم المدني وما وصلوا إليه من الحرف والصناعات والفنون والبدائع الفنية الأخرى.

٨- القيام بتدريس كل ما ينفع هؤلاء الأولاد من مواد تفيدهم في دينهم، وتهديهم في دنياهم، بحيث يكونوا قدوة لغيرهم<sup>(٥٧)</sup>.

٩- وضع أبناء رؤساء العشائر العربية والكردية والعشائر الأخرى الموجودة داخل ولايات الدولة العثمانية تحت نظر القصر السلطاني العثماني في إسطنبول، لحمايتهم وتعليمهم اللغة التركية<sup>(٥٨)</sup>، وتربيتهم وتوثيق روابطهم بالخلافة العثمانية، بالإضافة يتولد لديهم القدرة على خدمة شعبهم ودولتهم بعد العودة إلى بلادهم<sup>(٥٩)</sup>.

ومن ضمن أهم أنظمتها التي كانت تؤخذ في الإعتبار أنها تتبع نظارة المعارف العمومية العثمانية من الناحية الإدارية والتعليمية، وكانت الدراسة تعقد فيها على فترتين (صباحية ومساءلية)، وتتبع أفضل الموازين لإختيار أفضل عناصر هيئة التدريس من المدرسين والمعلمين المتقنين للغتين العربية والتركية العثمانية؛ للقيام بالتدريس بها<sup>(٦٠)</sup> ويشترط أن يكون طلاب المدرسة من أبناء أكابر العشائر والقبائل (لتوطيد العلاقات العثمانية العربية) الساكنة في ولايات الدولة العثمانية<sup>(٦١)</sup>.

وعند الافتتاح وصل إلى إسطنبول، بعض الطلاب، وكانوا بالفعل من أولاد وأبناء رؤساء القوم في عشائرهم، على أن يأتي البقية منهم تدريجيًا بعد ذلك، وتعم الفائدة على جميع القبائل العربية الحضرية والعشائر البدوية خاصة في الحجاز.

### **بداية الابتعاث الدراسي من الحجاز إلى إسطنبول:**

بدأت الوفود الطلابية من أبناء كبار العشائر والقبائل في الحجاز والحرمين الشريفين في التوافد على إسطنبول للتحصيل العلمي والالتحاق بمدرسة العشائر،

وبدأ المسؤولون عن الولايات والإدارة العثمانية في الولايات العربية يقومون بالتبليغ عن هذه المدارس والإعلان عنها، فقامت نظارة الداخلية بإبلاغ ولايات (طرابلس الغرب" ليبيا حالياً- بغداد، البصرة، اليمن، سوريا، حلب، الموصل، ديار بكر، القدس الشريف، زور بالعراق، بنغازي)، وكذلك ولايات الحجاز والحرمين الشريفين للاستعداد في إرسال طلابها للابتعاث الدراسي وتلقي العلم في هذه المدارس بإسطنبول<sup>(٦٢)</sup>.

وكانت الدولة العثمانية حريصة على تنفيذ ذلك المشروع القومي والثقافي والفكري الذي سيؤدي إلى انتفاضة فكرية وثقافية لأبناء هذه العشائر عند عودتهم الى بلادهم، والتي كان لها بالغ الأثر في الحياة السياسية داخل الدولة العثمانية في تلك الفترة.

وقد استجابت بعض الولايات العربية في إرسال أبنائها على الفور من طرابلس الغرب وبغداد والقدس الشريف والبصرة وسورية وحلب، وهذا ما اتضح من تقرير الصدر الأعظم المرفوع إلى السلطان العثماني الذي أبلغه أيضاً أن إمارة مكة المكرمة قد أفادت في خطابها المرسل إلى الصدارة العظمى - بتاريخ ١٣ ربيع الأول عام ١٣١٠هـ-١٨٩٢هـ بأنه جار تنفيذ الأوامر في ابتعاث طلابها من منطقة الحجاز إلى مدرسة العشائر بإستانبول<sup>(٦٣)</sup>.

وعلى الرغم من حرص السلطان عبدالحميد الثاني على تنفيذ هذا المشروع التعليمي الخاص بأبناء العشائر والعربان وحماسته الشديدة لذلك، وخاصة في منطقة الحجاز، إلا أن الاستجابة من القبائل والعشائر لم تكن بنفس قدر اهتمام الدولة بذلك، والدليل على ذلك هو العدد القليل الذي تم ابتعاثه على الفور، والذي لم يتعدّ الأربعة أو الخمسة طلاب في المرحلة الأولى من هذا الابتعاث، ثم تبعهم بعد ذلك

ثلاثة طلاب فقط خلال الأسبوع الأول الذي تم فيه إبلاغ الصدر الأعظم للولايات العربية بالأمر السلطاني السابق<sup>(٦٤)</sup>.

وقد قام والي الحجاز آنذاك بشرح الأسباب الحقيقية التي كانت وراء استجابة هذا العدد القليل من القبائل والعربان في مناطق الحجاز، ويمكن تلخيصها كما يلي:

"إن القبائل والعشائر الحجازية ليست لديهم أية اهتمامات أو عناية بهذا المشروع التعليمي الذي تبناه السلطان عبدالحميد الثاني تحت راية وفكرة الجامعة الإسلامية، ومن ثم تم عرض الأمر على نظارة الداخلية الجليلة، وأن هناك محاولات جادة لإقناع العربان بأهمية هذا الأمر الذي ليست لهم دراية به قبل ذلك، وأن الأمر صعب بعض الشيء نظراً لأن هذا الابتعاث سيتم لأول مرة من الحجاز إلى إسطنبول، وسوف يتم ابتعاث الثلاثة طلاب الحجازيين الذين وافقوا على قبول الابتعاث إلى مدرسة العشائر باسطنبول"<sup>(٦٥)</sup>.

والحقيقة أن ثقافة إرسال طلاب من أبناء العشائر العربية للتعليم خارج شبه الجزيرة العربية كانت حينها لا تزال قاصرة وفي بدايتها؛ لذلك لم يندمج فيها أهالي الحجاز وغيرهم، ولكنها تطورت بمرور الوقت مع اكتشاف مدى أهميتها، وما ستعود به من فائدة على الطالب وعشيرته والبيئة التي يعيش فيها.

ولعل مما يوضح الأمر السابق تلك الرسالة المرسلة من أمير مكة المكرمة آنذاك إلى الباب العالي التي مفادها أنه تم التعرف على الموضوع بشكل أوضح وجارٍ تنفيذ الأوامر السلطانية بجمع الطلاب من أبناء القبائل والعشائر في مكة المكرمة والمناطق المحيطة بها، وسوف يتم ابتعاثهم فور تجمعهم واستجابة القبائل للأمر<sup>(٦٦)</sup>.

ولقد أشار الصدر الأعظم في الرسالة المرسلة إليه من أمير مكة المكرمة، بالتأكيد على ضرورة ابتعاث الطلاب من مكة المكرمة إلى مكتب العشائر باسطنبول، وأنهم سوف يحضرون قريباً.

وبالفعل بدأ الطلاب المبتعثون في التوافد على إستانبول، متوجهين على متن سفينة قامت من ميناء جدة وهي تحمل على ظهرها عددًا من الطلاب الحجازيين المبتعثين إلى مكتب العشائر بإستانبول.

وهكذا جاءت الاستجابة لهذا المشروع تدريجيًا بمرور الوقت.

### **مناهج التدريس داخل المؤسسات التعليمية بالحجاز؛ -**

كانت العلوم التي تدرس في مختلف المؤسسات التعليمية في الولايات العربية تختلف من مؤسسة إلى أخرى، ومن مدرسة إلى مدرسة، ومن حلقة مسجد إلى حلقة ثانية وهكذا، لكن الفكر والثقافة الإسلامية هو الأساس بالنسبة للمجتمع الحجازي، سواء من الناحية العلمية أم التعليمية أو حتى الثقافة والتأليف؛ حيث كان في الحجاز حركة علمية نشطة ساعدت الدولة العثمانية على تفعيلها من خلال ممثليها في الحجاز سواء الشريف أم والي جدة أو حتى القاضي، إلا أنها في الحقيقة لم تسع إلى إدخال نفسها في جوهر المناهج التعليمية في تلك المؤسسات التعليمية، فعلى سبيل المثال لم تُفرض اللغة التركية العثمانية التي كانت اللغة الرسمية في إدارات الدولة العثمانية، ولم تُفرض اللغة الفارسية التي كانت تُعدّ لغة الثقافة الثانية لديها، بل إن الإدارة العثمانية أبقت على اللغة العربية لغةً للتعليم في شتى الولايات العربية والإسلامية وليس الحجاز فقط خلال تلك الفترة، وكان على العلماء العثمانيين والمدرسين المرسلين إلى شبه الجزيرة العربية عمومًا، والحجاز خاصة أن يقوموا بتدريس المناهج الدراسية المختلفة باللغة العربية، لدرجة أنه صدرت الأوامر السلطانية بالإدارة العثمانية بأن المدرسين والمعلمين الذين يقومون بعدم إتباع هذه التعليمات ويخالفون التدريس باللغة العربية، سيلقون العقاب والتأديب والجزاء المناسب الذي قد يصل أحيانًا إلى حد النفي خارج البلاد، وهذا ما حدث بالفعل للقائمين بالتدريس باللغة

الهندية في إحدى حلقات التدريس بمكة المكرمة، وإلقاء دروسهم بتلك اللغة، فكان جزاؤهم صدور الأوامر السلطانية بإبعادهم ونفيهم وطردهم من الحجاز وإرجاعهم إلى وطنهم الأصلي<sup>(٦٧)</sup>.

وكان يصل الأمر إلى حد إرسال الأوامر السلطانية إلى مناطق شبه الجزيرة العربية عموماً، والحجاز على وجه الخصوص والتي مفادها أن التدريس في هذه المناطق لا بد أن يكون باللغة العربية سواء أكان ذلك في المدارس الابتدائية أم الإعدادية، لأن تلك المناطق يتكلم أهلها العربية وهي لغتهم الأصلية، ولا بد أن يتقن موظفو الدولة والمعنيون بتلك المنطقة اللغة العربية، ولديهم إلمام تام بها، واتخاذ كافة الإجراءات الإدارية والقانونية لتنفيذ ذلك على الفور<sup>(٦٨)</sup>؛ وذلك بهدف الإسهام في التقدم العلمي وعدم فرض لغة ثانية على أهالي المناطق العربية، ليكون ذلك حافزاً لهم على مواصلة التعليم.

وقد تضمن المنهج التعليمي بصورة عامة، تعليم القراءة والكتابة وتعاليم الدين الإسلامي (القرآن الكريم) على وجه الخصوص، والحساب وقواعد اللغة التركية والخط، وقد تعدل هذا المنهج في العهد الدستوري، فتم إدخال علم الحال الوطني (المعلومات الوطنية) وتاريخ الإسلام والتاريخ العثماني والجغرافيا، بالإضافة إلى المواد السابقة<sup>(٦٩)</sup>.

وقد نص دستور المعارف العثماني، على أن تكون لغة التعليم في المكاتب الابتدائية باللغة المحلية<sup>(٧٠)</sup>.

ويتضح أن الدولة العثمانية لم تدخر وسعاً في نشر المؤسسات الثقافية والتعليمية في الحجاز، بل وتقديم الدعم المادي والمعنوي لها.

### الختام

من خلال العرض السابق للدراسة التي اعتمدت على الوثائق والفرمانات العثمانية، انضح مدى اهتمام الإدارة العثمانية ورعايتها للمؤسسات التعليمية في الحجاز والحرمين الشريفين، التي كانت وما زالت تمثل مركزاً للعالم الإسلامي من الناحية العقائدية، كما اتضحت الأمور الآتية:

١- منذ دخول المناطق العربية - ومنها الحرمين الشريفين والحجاز - تحت الإدارة العثمانية على يد السلطان سليم الأول، أصبحت محط أنظار السلاطين العثمانيين على مدى عهود حكمهم، وفي جميع المجالات وليس فقط الناحية التعليمية. فكانت المؤسسات التعليمية من أهم الأسباب التي ساعدت على تطوير الحركة التعليمية في المناطق العربية، وبجانب تلك المؤسسات التعليمية أنظمة التعليم التي كانت تعمل قبل دخولها تحت الحكم العثماني، كالكتاتيب وحلقات العلم داخل الحرمين وغيرها.

٢- دخل السلاطين العثمانيين في تنافس مع رجال الدولة والوزراء على إنشاء العديد من تلك المؤسسات التعليمية، بل وعملوا على تحديث المناهج الدراسية فيها، بحيث تجمع هذه المؤسسات بين التعليم الديني والتعليم المدني العصري الذي يحتاجه المجتمع، مما كان له الأثر البالغ في تنشيط الحركة الثقافية والفكرية في الحجاز عموماً، والحرمين الشريفين على وجه الخصوص.

٣- توضح الفرمانات الصادرة من السلاطين العثمانيين مدى اهتمامهم بأدق تفاصيل عمل المؤسسات التعليمية، سواء أكانت من ناحية ترميم المتهدم منها، أم وضع ميزانية مالية لرواتب المدرسين والقائمين عليها، أم من حيث الإشراف المباشر على المناهج التعليمية فيها.

٤- امتزجت في عهد السلطان عبدالحميد الثاني فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت سائدة حينذاك بفكرة التطبيق العملي لها، وذلك من خلال تأسيس مدرسة العشائر بإسطنبول باعتبارها مركزاً علمياً يتم فيها ابتعاث طلاب قبائل وعشائر وعربان الجزيرة العربية ومناطق الحجاز عموماً، والحرمين على وجه الخصوص.

٥- كانت فكرة الابتعاث الخارجي لأبناء الحرمين وغيرهم من العرب لإسطنبول غير مقبولة لمعظم القبائل والعشائر العربية، ويتضح ذلك من مدى الاستجابة البطيئة في إرسال الطلاب للدراسة بمدرسة العشائر في إسطنبول في بداية الأمر؛ وربما يعود السبب في هذا إلى طبيعة هؤلاء الطلاب القادمين من البادية، والذين ليس لديهم فكرة الاقتناع التام بالدراسة خارج منطقة الحجاز وخاصة الحرمين، وهي فكرة جديدة واردة عليهم، مما كان له أثر سلبي على العديد من الطلاب المبتعثين إلى مدرسة العشائر للدراسة هناك.

٦- لا شك أن هذا الأسلوب التعليمي الجديد المتطور الذي بدأت تنهجه الدولة والإدارة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني كان يعد أسلوباً رائداً في الحركة التعليمية والثقافية والفكرية وهو الأول من نوعه في المنطقة العربية عموماً، والجزيرة العربية والحجاز والحرمين الشريفين على وجه الخصوص.

### الملاحق

#### أولاً: جدول يوضح المؤسسات التعليمية في مكة المكرمة

١- المدارس الأربعين.
٢- المدارس الثلاثة
٣- مدرسة داود باشا "المدرسة الداودية"
٤- مدرسة شمس الدين الذهبي
٥- المدرسة المجيدية
٦- المدرسة المرادية
٧- المدرسة البسيطة
٨- مدرسة دار الشفاء
٩- مكاتب الصبيان
١٠- المدارس الإعدادية
١١- دار الشفقة الخاصة بالأيتام من الأولاد وأنشئت عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م

وقد وصل عدد مدارس الصبيان في مكة المكرمة الى ما يقرب من ثلاث وثلاثون مدرسة عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، منها ست مدارس في سوق الليل، وخمس في القراة، وثلاثون في القشاشية، وخمس في شعب بني عامر، وواحدة في نقا والسليمانية وأجياد، والمسفلة، وأربع في الشبيكة، وثلاث في حارة الباب، وست في الشامية، وكان عدد طلاب هذه المدارس (وكلهم من البنين) ما يقرب من ١١٥٠ طالباً<sup>(٧١)</sup>.

ثانياً: جدول يوضح المؤسسات التعليمية في المدينة المنورة:

١- مدرسة قره باشي
٢- مدرسة أحمد أفندي
٣- المدرسة المحمودية
٤- المدرسة الحميدية
٥- مدرسة بوياء بادي
٦- مدرسة قايتباي
٧- مدرسة ساقزلي
٨- مدرسة بشير أغا
٩- المدرسة المجيدية
١٠- المدرسة الإسلامية

هذا بجانب المدارس الحديثة العثمانية مثل:

- ١- مدرسة الصبيان.
- ٢- مدرسة الاتحاد والترقي.
- ٣- المدرسة الرشدية.

وكان في المدينة ١٢ مدرسة مجيدية بها ما يقرب من ٣٢٠ طالباً، في كل واحدة منها مدرس ومدرسة رشدية واحدة يدرس فيها ٥٥ طالباً<sup>(٧٢)</sup>.

### نماذج من خريجي مدرسة العشائر باسطنبول من أبناء الحجاز والعشائر العربية

- ١- الشيخ أحمد النجار "١٢٧٢-١٣٤٧ هـ / ١٨٥٥-١٩٢٨ م"، هو أحمد بن علي بن صالح النجار، وكان قاضياً فاضلاً من أهل الحجاز، وُلد وتُوفي بالطائف، تعلم بالمدرسة "الصولتية" بمكة المكرمة، وتفقه بالدين الإسلامي، نظم الشعر، وحذق اللغة الفارسية، وله إلمام بالتركية والفرنسية، وأعد منهاجاً لنشر التعليم في البادية خلال حكم السلطان عبد الحميد الثاني، على غرار مدرسة العشائر باسطنبول التي كانت في الفترة من "١٨٩٤-١٩٠٧ م" للهدف نفسه الذي أنشئت لأجله، وهو تعليم أبناء القبائل والعشائر، وقد أعانه على هذه الخطوة أحد ولاة الحجاز، وهو "كاظم باشا"، وعهد إليه أيضاً اختيار المعلمين، فاختر طائفة منهم، وكان يرشدهم إلى الأسلوب الذي يأمل نجاحه، وقد تولّى القضاء في "الطائف" خلال العهد السعودي، له عدة مؤلفات في الطب والشعر والمنطق وغيره<sup>(٧٣)</sup>.
- ٢- عبد المحسن السعدون "١٢٩٦-١٣٤٨ هـ / ١٨٧٩-١٩٢٩ م"، هو عبد المحسن باشا بن فهد بن علي السعدون، وزير عراقي من أسرة يتصل نسبها بالأشراف، كان أبوه حاكماً على لواء (المتفق) وأميراً لعشائره. وعبد المحسن السعدون ممن وفد على اسطنبول ضمن الابتعاث الدراسي للتعلم بمدرسة العشائر هناك، وبعد أن أكمل تعليمه في مكتب العشائر التحق بالمدرسة الحربية، وتخرج ضابطاً في الجيش العثماني<sup>(٧٤)</sup>.
- ٣- فائز الغصين "١٣٠٠-١٣٨٧ هـ / ١٨٨٣-١٩٦٨ م" هو فائز بن زعل الغصين، من أعضاء جمعية "العربية الفتاة"، وُلد في "حوران"، تعلم بدمشق، وأدخل مدرسة العشائر باسطنبول، وعاد إلى عشيرته فتم تعيينه قائماً في بلاده، ذهب إلى جدة عام ١٩١٦ م، وعُين سكرتيراً للشريف فيصل بن الحسين في ينبع، له مؤلفات منها "المظالم في سوريا والعراق والحجاز"<sup>(٧٥)</sup>.

### قائمة بالهوامش

- (١) هو السلطان (سليمان خان الأول) الملقب بالقانوني لأن إدارته للبلاد إهتمت بوضع القوانين والديساتير في نظام الدولة، وقد حكم في الفترة من (٩٦٦-٩٧٤هـ / ١٥٢٠-١٥٦٦م) وهو ابن السلطان سليم الأول الملقب بـ(ياووز سليم ١٥١٢-١٥٢٠م).
- (٢) أحمد سامح الخالدي: أنظمة التعليم، مطبعة بيت المقدس، ١٩٣٣م، ص ٨٢.
- (٣) محمد حسن العيدروس: الحياة الفكرية في شرق الجزيرة العربية في العهد العثماني "١٨٧٠م - ١٩١٢م" بحث منشور في مجلة المملكة التاريخية المغربية، العدد ٥٧ - ٥٨، تونس، تموز ١٩٩٠م، ص ٦٩.
- (٤) أحمد منير مصلح: نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي، الرياض، مطبوعات جامعة الرياض، ط ١، ١٣٩٤هـ، ص ١١.
- (٥) هو الرجل الصالح الذي يوظف نفسه لخدمة الناس، وهو في الغالب من أئمة المساجد.
- (٦) مصلح، المصدر السابق، ص ١٣.
- (٧) تُعرف بـ"الخمسية" من كل طفل يريد التعلم، وسبب تسميتها بذلك أنها كانت تدفع للشيخ يوم الخميس من كل أسبوع. عثمان عبدالجبار: التعليم الرسمي والتقليدي والأهلي عند المسلمين في بلاد الشام ما بين "١٨٧٨-١٩٢٠م" رسالة ماجستير غير منشورة من قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة دمشق، ١٩٨٠م، ص ٣١.
- (٨) سهيل صابان: جوانب من الحياة التعليمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية (١٠٣٩-١٣٣٦هـ، مجلة الدرعية، العدد الأول، محرم ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- (٩) المدرسة: هي كلمة عربية، إصطلاح عليها في الدولة العثمانية والتركية، وهي كلمة ذات مدلول معين ومحدد ويقصد بها المدارس الدينية. أمّا مصطلح المكتب: فالمقصود به المدارس الحديثة، فتدل على مرحلة معينة بإضافتها إليه فيقال المدارس الإعدادية، الرشدية.... وهكذا، أنظر: سهيل صابان: جوانب من الحياة العلمية، مصدر سابق.
- (١٠) عماد عبد العزيز يوسف (دكتور): الحجاز في العهد العثماني (١٨٧٦-١٩١٨م)، لندن ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م، ص ٢٥-٣٠.
- (١١) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، د. ط، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م، ج ١، ص ٧٥.
- (١٢) الصرّة الهمايونية: هي عبارة عن مخصصات مالية سنوية لأهالي الحرمين الشريفين والأعيان والمشايخ، وترسل غالبا مع أمير الصرّة الذي يشرف في الوقت نفسه على قافلة الحج الشامي بشكل خاص؛ والذي يحمل في معيته الكثير من الهدايا القيمة والخلع التي تهدى للمشايخ والأمراء والأعيان في الحرمين، بالإضافة إلى كسوة الكعبة المشرفة، وكانت الصرّة ترسل حتى عام ١١٢٦ هـ من مصر ثم تحول إرسالها إلى خزينة الحرمين في إسطنبول. أنظر: صابان، جوانب من الحياة العلمية في الحجاز، وأيضا: خليل ساحل أوغلو: مخطوطات عن الجزيرة العربية (مصادر تاريخ الجزيرة العربية ١٥٤/١٥٥)، الرياض ١٣٩٨ هـ.
- (١٣) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول، تصنيف جودت، أوقاف، وثيقة رقم ١٠٣٥١ بتاريخ ٧ شوال ١١٤٥هـ.
- (١٤) هو السلطان (سليمان خان الأول) الملقب بالقانوني لأن إدارته للبلاد إهتمت بوضع القوانين والدساتير في نظام الدولة، وقد حكم في الفترة من (٩٦٦-٩٦٦)

٩٧٤هـ = ١٥٢٠-١٥٦٦م) وهو ابن السلطان سليم الأول الملقب بـ(ياووز سليم ١٥١٢-١٥٢٠م). أنظر: أكمل الدين إحسان وآخرون: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المركز الإسلامي بإسطنبول، ١٩٩٦، ط١، ج١، ص١٥.

(١٥) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف جودت، معارف، وثيقة رقم ١٩٨٨م ووثيقة رقم ١٣١٢، بتاريخ جماد الآخرة ١١٢٠هـ. وقد أرسل السلطان سليم الأول محملاً به الصرة عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، على أنها لم تكن المرة الأولى، وإنما بدأ إرسالها منذ عهد السلطان بايزيد في أواخر القرن التاسع الهجري، أنظر: محمد طاهر المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج٥، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، النهضة الحديثة للنشر، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص٣٩.

(١٦) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف جودت، معارف، وثيقة رقم ٤٥٢٧ مؤرخة في ٢٨ رجب ١١٣٧هـ.

(١٧) الشريف عبدالكريم بن محمد بن علي: تولى إمارة مكة المكرمة في ربيع الأول ١١١٦هـ / ١٧٠٤م، وقد عزل من الإمارة عام ١١١٦هـ / ١٧٠٥م وذهب إلى اليمن وما لبث أن عاد إليها بقوة أرغمت الشريف سعيد على ترك الإمارة، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر صراعه مع الشريف سعيد، وساءت علاقته بنصوح باشا أمير الحج الذي رفع تقريراً إلى الحكومة العثمانية أدى إلى عزله، وتولى الشريف سعيد بن سعد الإمارة في ١١٢٣هـ / ١٧١١م، وبعد وفاة الشريف سعيد حاول استرداد الإمارة إلا أن مرسوم الإمارة صدر باسم الشريف عبدالله بن سعيد، وقد عاش في مصر أواخر أيامه وتوفي عام ١١٣١هـ / ١٧١٩م، أنظر: إسماعيل حقي جارشيلي: أشرف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الطبعة الأولى، لبنان: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص١٦٧، ١٦٨.

- (١٨) وهي المدارس الموجودة جنوب المسجد الحرام بمكة المكرمة، والتي تدرس المذاهب الأربعة.
- (١٩) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف جودت، معارف، وثيقة رقم ١٩٨٨، ورقم ١٣١٢، مؤرخة في جمادى الآخرة ١١٢٠هـ.
- والقرش العثماني: عملة فضوية عثمانية سكت لأول مرة عام ١٦٨٨م في عهد السلطان أحمد الثالث، وكان وزن القرش في بداية ظهوره يعادل ست دراهم. ولزيد من التفصيل، أنظر، أحمد محارب الظفيري: علات سادت الجزيرة العربية قديماً، مجلة الكويت، العدد ٣٦٦.
- (٢٠) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف جودت، معارف، رقم ٤٥٢٧، مؤرخة في ٢٨ رجب ١١٣٧هـ.
- (٢١) والمقصود به المدرسة المجيدية التي كانت موجودة في مكة المكرمة، أنظر، سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٤٢.
- (٢٢) صابان، مصدر سابق، ص ١٣٦ - ١٣٨.
- (٢٣) مجلس الأحكام العدلية: يأتي بمعنى المجلس الأعلى بالفارسية ومجلس والا مختصر لمجلس الأحكام العدلية، وقد أنشئ عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م للنظر فيما بين الحكومة وأفراد الشعب من دعاوي. وقد ألغي عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م، لمزيد من التفصيل، أنظر، حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ١٢٦٥.
- (٢٤) مدرسة دار الشفقة بمكة المكرمة: سهيل صابان، عالم المخطوطات والنوادر، العدد الخامس، ج ١، محرم - جماد الآخرة ١٤٢١هـ، ص ٢٥٣ - ٢٧٥.
- (٢٥) صابان: نصوص عثمانية، مصدر سابق ص ١٧٢ - ١٧٣.

- (٢٦) أرشيف طوب قابي سراي بإسطنبول: تصنيف فرمانات، فرمان رقم ١٠٨٢٥.  
(الدرهم العثماني): يعادل ٤٠٠٥ من الأوقية، وهي عملة فضية كان العرب يتداولونها قديما، وكان يعادل فرنكا واحدا في قيمته تقريبا. أنظر: شمس الدين سامي: قاموس تركي، اسطنبول ١٣١٧، مادة (درهم)، ص ٦٠٨.
- (٢٧) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، صورة ضوئية محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض، تحت رقم ١/١٦٦-٢.
- (٢٨) صابان: نصوص عثمانية، ص ٩٥-١٠٤.
- (٢٩) صابان: جوانب من الحياة... مصدر سابق،
- (٣٠) المصدر السابق، ص ١٠٧-١٠٩.
- (٣١) ساقز بلد في تركيا، و(لي) لاحقة تفيد النسبة إلى البلد فتكون بمثابة الموطن أو الجنسية، ومعنى (ساقزلي) أي الذي بلده ساقز.
- (٣٢) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، صورة ضوئية محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض، رقم ١/٢٠٥-٢.
- (٣٣) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف دفاتر العينات دفتر رقم ٨٧٣، ص ٢٣٩. مؤرخة في ١٣ ربيع الأول ١٢٩١هـ.
- (٣٤) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف يلدز، أوراق محفوظة خصوصية، رقم ٤١٢/١٠٩، مؤرخة في ٣ رمضان.
- (٣٥) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف إدارة معارف، رقم ١، مؤرخة في ١ شوال ١٣١٨هـ. ولم يقتصر إنشاء المدارس على الحجاز فقط بل كانت هناك مدرسة "رشدية" في أبها حتى أن خريجي هذه المدرسة كان يحق لهم الالتحاق بالمدرسة الإعدادية العسكرية في الشام، وذلك بعد اجتيازهم الاختبارات اللازمة، ومن

- ثم يحق لهم الالتحاق بمدرسة إسطنبول الحربية بعد فترة. أنظر: أرشيف، تصنيف داخلية، إرادة داخلية رقم ١ / ٥ - ٢٦، مؤرخة في ٢٥ محرم ١٣٢٨هـ.
- (٣٦) يمكن الرجوع في ذلك إلى: سالنامة الحجاز التي أوردت إحصائية مفصلة عن الكتب في مكتبات المدينة المنورة عام ١٣٠٩هـ، حيث وصلت إلى ما يقرب ٢٢/٩١٤ كتاباً.
- (٣٧) مركز بحوث المدينة المنورة، وثيقة تحت رقم ١ / ٢٧٨ مؤرخة في ١٧ محرم ١٣٢١هـ. وانظر أيضاً: سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص ١٦٢-١٦٥.
- (٣٨) صابان، نصوص عثمانية، ص ١٦٦ - ١٦٧.
- (٣٩) يذكر أن الأمير شكيب أرسلان وصل بالفعل إلى المدينة المنورة ومعه عدد من رجال السياسة مثل عبد العزيز جاويش، والإعلاميين مثل عبد القادر لمفربي، وبدأوا في تأسيس الكلية الإسلامية بالمدينة المنورة، وبدأ البناء بالفعل ثم الأساس، وارتفع بعض سورها، ولكن العمل توقف حين بدأت نذر الحرب العالمية الأولى. أنظر: من رجب ١٣٣٢هـ - ١١ / ١٤ DH.KMS.25. وتتضمن: تحويل الإعانات المالية التي كان يتم جمعها باسم الجمعية الخيرية الإسلامية، من لدن الأمير شكيب أرسلان، إلى المدرسة الإسلامية، وجمعها بعد ذلك بهذا الاسم.
- (٤٠) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف DH.Kms رقم ٥ / ٢٤ مؤرخة في ٢٣ محرم ١٣٣٢هـ. ووثيقة نفس التصنيف رقم ١١ / ١٤ مؤرخة في ٢٥ رجب ١٣٣٢هـ، وأيضاً، سهيل صابان: مرجع سابق، ص ١٨٩ - ١٩٣. وقد أنشئ في تبوك مدرسة تعليمية بجوار المسجد الكائن على طريق السكك الحديدية الحجازية هناك، وقد سميت باسم السلطان عبدالحميد الثاني، وتم التنبه من

الإدارة العثمانية المختصة وولاية الأمر بتدبير ما يلزم لها من مدرسين ومؤذنين، ومنح الرواتب اللازمة لهم. أنظر، مركز بحوث المدينة المنورة، وثيقة رقم ٢/٧ مؤرخة في ٣ رجب ١٣٢٥هـ.

(٤١) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: إرادة داخلية، وثيقة رقم ١٩٧، نقلًا عن سهيل صابان: نصوص عثمانية، ص ١٦٠، ١٦١.

(٤٢) أحد كبار رجال المدينة المنورة الأفاضل ومن أثريائها.

(٤٣) الأقبجة: عملة مغولية مصنوعة من الفضة الخالصة، وهي مكونة من (آق) ومعناها (أبيض)، و(كوجك) ومعناها صغير، وتعد الأقبجة من أقدم العملات الفضية العثمانية، وقد أعيد ضربها مرة أخرى أيام السلطان أورخان (٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م) وكان وزنها ستة قراريط، وعيارها ٩٠٥ من قيمة الفضة. ولمزيد من التفصيل أنظر: أحمد محارب الظفيرة: عملات سادت في الجزيرة العربية قديماً، مجلة الكويت، العدد ٣٦٦.

(٤٤) الملازم: هو أحد خريجي المدارس الشرعية الذين يتم تسجيلهم حسب سنوات تخرجهم في سجلات خاصة بهذا الأمر ليتم تعيينهم فور وجود وظيفة شاغرة في الدولة، وفي بعض الأحيان يتم تعيينهم في إحدى الوظائف بدون رواتب بصفة مؤقتة، حتى يحصل بعد ذلك على وظائف ثابتة بعد فترة من الوقت شمس الدين سامي: قاموس تركي، الطبعة الأولى، إسطنبول: دار السعادة، ١٣١٧هـ، ص ١٣٩٩ وانظر أيضاً:

Mehmet Zeki Pakalin, osmanli Tarih Deyimler, ve Terimleri so2lugu, Istanbul, 1971, CII. S, 611 .

(٤٥) المؤقت: هو موظف مسؤول عن توقيت الآذان وأوقات الصلاة داخل المساجد والمدارس، وكان لديه إلمام بعلم الفلك. شمس الدين سامي: مصدر سابق، ص ١٤٣١.

(٤٦) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف جودت، أوقاف، وثيقة رقم ١٠٦١٢ مؤرخة في ٢٨ صفر ١٢٠١هـ / ٢ يونيو ١٧٨٧م.

(٤٧) نظرا لكثرة الأوقاف الممنوحة من لدن السلاطين العثمانيين والأهالي من أصحاب الأعمال الخيرية، فقد تم تشكيل إدارة خاصة في إسطنبول تعرف بخزينة الحرمين الشريفين، تقوم بمتابعة كل العقارات والأراضي الزراعية والدكاكين والطواحين وغيرها من الموقوفات على الحرمين، وتجمع ريعها لصرفها عليهما. لمزيد من التفصيل، أنظر: صابان، جوانب من الحياة العلمية، مصدر سابق.

(٤٨) المصدر السابق، الوثيقة نفسها.

(٤٩) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف جودت، معارف، وثيقة رقم ٦٧٤٦ مؤرخة في رجب ١٢٦٦هـ.

(٥٠) مركز بحوث المدينة المنورة، وثيقة رقم ١ / ٣٢٩ مؤرخة في ١٤ ربيع الأول ١٣٢١هـ.

(٥١) ولمزيد من التفصيل، أنظر: كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحوطة سدير: التعليم في المملكة، جامعة المجمعة، (الشبكة العنكبوتية).

(٥٢) انظر ملاحق البحث، الجدول الموضح للمدارس. كما أنشئت مدارس تعليمية في جدة وينبع وكانت هذه المدارس لها منحة مالية مقدارها ٥ آلاف قرشاً عثمانياً، يتم صرفها من وزارة المعارف العثمانية بإسطنبول على هيئة منحة مالية، وهي تقدم كل شهر لهذه المدارس لتشجيعها. انظر: عبداللطيف عبدالله بن دهيش: نظرة على تقرير المؤسسات التعليمية في الحجاز حتى ١٣٠١هـ / ١٨٨٥م، بحث في المجلة التاريخية المغاربية، العدد ٥٧ - ٥٨، تموز (يوليو)، ١٩٩٠م، ص ١٠١ - ١٠٨.

دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين د. أماني جعفر الغازي ٢٩١

٥٣) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف IMV، وثيقة رقم ٣٤٧٣، مؤرخة في ١٧ صفر ١٢٦٥هـ.

٥٤) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف MV، رقم الوثيقة ٢٣٦ / ٢٣١، مؤرخة في ٢ رمضان ١٣٣١هـ.

٥٥) السنجق: كن أحد التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، ويعني المنطقة أو المقاطعة بالعربية، كما اشتهر بإسم "لواء" ويعني العلم أو الراية، وهو الإسم الذي أطلقه العرب على هذه التقسيمات الإدارية والتي عرفت جميعها فيما بعد بالألوية، حيث قسمت الدولة وقسمت هذه الإيالات داخليا إلى سناجق، عرفت كذلك باسم الألوية، وعلى رأس كل منها ممثلاً للسلطة العثمانية حمل لقب (سنجق بك) أو "المتصرف" بالعربية، وقسمت داخليا إلى إقطاعيات أطلق على الواحدة منها اسم "تيمار"، وهي أراضي ممنوحة من قبل الدولة العثمانية لعلية القوم، ويطلق على مالكيها "تيمار بك"، والتي قسمت إدارياً بالتبعية لمساحات أصغر من الأراضي أطلق عليها (قاضيلق) أي المناطق التي يشرف علي إدارتها أحد القضاة. لمزيد من التفصيل أنظر: ويكيديا الموسوعة الحرة، الشبكة العنكبوتية.

٥٦) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ٢، إستانبول: منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية IRCICA، 1999م، ص ٤١٢، ٤١٣.

٥٧) المزيد من التوضيح حول موضوع الحياة العلمية والثقافية في المؤسسات التعليمية في الحجاز خلال العهد العثماني. انظر: سهيل صابان: جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية "١٠٣٩ هـ - ١٣٣٦ هـ" مقال

منشور في مجلة الدرعية، المملكة العربية السعودية، السنة الأولى، العدد الأول،  
محرم ١٤١٩هـ، ص ص ١٧١ - ١٩٢.

(٥٨) الحقيقة أن تعليم اللغة التركية للطلاب في هذه المدرسة، لم يكن هدفاً من أهداف  
التريك التي كانت ضد مبادئ السلطان عبد الحميد الثاني، بل كان الهدف منها  
أن يكون الطلاب على تواصل دائم مع المدرسين والإدارة العثمانية.

(٥٩) عمر فاروق يلماز: السلطان عبد الحميد خان الثاني بالوثائق، ترجمة طارق  
عبد الجليل السيد، مراجعة: الصفا في أحمد المرسي، الطبعة الأولى، إستانبول، دار  
نشر عثمانلي، ١٩٩٩م، ص ٢٢٢.

(٦٠) إن شروط إتقان اللغة العربية بجانب التركية لكل المدرسين المتقدمين لوظيفة  
التدريس بالمدرسة، للدليل واضح على ما قمنا بالتعليق عليه سابقاً، من أن الهدف  
منه هو التواصل بين الطلاب والمدرسين والإداريين في المدرسة والدولة  
العثمانية.

(٦١) يلماز، مرجع سابق، ص ٢٢٢، وأيضاً، أكمل الدين إحسان أوغلي: مرجع  
سابق، ج ٢، ص ٤١٠.

(٦٢) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف "شورى الدولة" رقم ٢٢٧٠ / ١٤  
مؤرخة في ١٨ جمادى الآخرة عام ١٢٨٩هـ.

(٦٣) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف "يلدز أوراق خصوصية"، رقم الوثيقة  
٢٦٥ / ٢٠، ١٨٩٤م.

(٦٤) يلماز: مرجع سابق، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٦٥) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف "يلدز أوراق خصوصية" رقم الوثيقة  
٢٦٥ / ٢٠، ١٨٩٤م.

دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين د. أماني جعفر الغازي ٢٩٣

---

(٦٦) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف " يلدز أوراق خصوصية " وثيقة رقم ٢٦٥ / ٧٦  
مؤرخة في ١٢ ربيع الأول ١٣١٠هـ.

(٦٧) أرشيف رئاسة الوزراء، التصنيف السابق، وثيقة مؤرخة في ١٣ ربيع الأول  
١٣١٠هـ.

(٦٨) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف " يلدز أوراق خصوصية " وثيقة رقم ٢٦٥ / ٩٤  
مؤرخة في ١٧ ربيع الأول ١٣١٠هـ.

(٦٩) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف " يلدز أوراق خصوصية " وثيقة رقم ٢٦٥ /  
٩٤، مؤرخة في ١٥ ربيع الأول ١٣١٠هـ.

(٧٠) أرشيف رئاسة الوزراء، التصنيف السابق، وثيقة رقم ٢٦٥ / ٩٩ مؤرخة في ٢٥  
أيلول ١٣٠٨هـ - رومي / ١٦ ربيع الأول ١٣١١هـ. والوثيقة المؤرخة في ١٨  
ربيع الأول ١٣١٠هـ، والوثيقة رقم ٢٦٦ / ١١١، مؤرخة في ١٩ ربيع الآخر  
١٣١٠هـ.

(٧١) أنظر حجاز ولايتي سالنامه سي: مكة المكرمة، مطبعة الولاية ١٣٠١هـ،  
ص ٣٠٦.

(٧٢) المصدر السابق، الصحيفة نفسها.

(٧٣) المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٧٤) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٤، ط ١، لبنان: بيروت، ص ١٥١-١٥٢.

(٧٥) المصدر السابق، ص ١٢٥

### قائمة المصادر والمراجع

#### أولاً: الوثائق العثمانية:

أ- أرشيف رئاسة الوزراء بإستنبول:

- ١- تصنيف جودت، أوقاف، رقم ١٠٣٥١، مؤرخة في ٧ شوال ١٢٤٥هـ.
- ٢- تصنيف جودت، أوقاف، ١٠٦١٢، مؤرخه في ٢٨ صفر ١٢٠١هـ.
- ٣- تصنيف جودت، معارف، رقم ١٩٨٨، مؤرخة في جماد الأولى ١١٢٠هـ.
- ٤- تصنيف جودت، معارف، ١٣١٢هـ، مؤرخة في جماد الأولى ١١٢٠هـ.
- ٥- تصنيف جودت، معارف، ٤٥٧٢، مؤرخة في ٢٨ رجب ١١٣٧هـ.
- ٦- تصنيف جودت، معارف، ٦٧٤٦، مؤرخة في رجب ١٢٦٦هـ.
- ٧- دفتر العينات، ٨٧٣ مؤرخة في ١٣ ربيع الأول ١٢٩١هـ.
- ٨- دفتر العينات، ٢٣٩ مؤرخة في ١٣ ربيع الأول ١٢٩١هـ.
- ٩- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم ٢٦٥ / ٢٠ مؤرخة في ربيع أول ١٢٩٤هـ.
- ١٠- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم، ٧٦/٢٦، مؤرخة في ربيع الأول ١٣١٠هـ.
- ١١- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم ٢٦٥ / ٩٩، مؤرخة في ١٦ ربيع الأول ١٣١٠هـ.
- ١٢- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم ٢٦٦/١١١، مؤرخة في ١٩ ربيع الأول ١٣١٠هـ.

دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين د. أماني جعفر الغازي ٢٩٥

---

١٣- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم ١٠٩ / ٤١٢، مؤرخة في ٣ رمضان ١٣١٨هـ.

١٤- تصنيف إدارة، قسم معارف، رقم المؤرخة في شوال ١٣١٨هـ.

١٥- تصنيف إدارة داخلية، رقم ١ / ٥ - ٢٦، مؤرخة في ٢٥ شوال ١٣٢٨هـ.

١٦- تصنيف DH. Kms، رقم ٥ / ٢٤، مؤرخة في ٢٣ محرم ١٣٣٢هـ.

١٧- تصنيف DH. Kms، رقم ١٤ / ١١، مؤرخة في ٢٥ رجب ١٣٣٢هـ.

١٨- تصنيف mv، رقم ٢٣٦ / ٢٣١، مؤرخة في ٢ رمضان ١٣٣١هـ.

١٩- تصنيف شوري الدولة، رقم ٢٢٧٠ / ١٤، مؤرخة في ١٨ جماد الآخرة ١٢٨٩هـ.

ب - أرشيف طوب قابي سراي:

٢٠- قسم الفرمانات، رقم ١٠٨٢٥

ج - مركز بحوث المدينة المنورة:

٢١- وثيقة رقم ١ / ٢٧٨، مؤرخة في ١٧ محرم ١٣٢١هـ.

٢٢- وثيقة رقم ١ / ٣٢٩، مؤرخة في ١٤ ربيع الأول ١٣٢١هـ.

٢٣- وثيقة رقم ٧ / ٢، مؤرخة في ٣ رجب ١٣٢٥هـ.

د- دارة الملك عبدالعزيز بالرياض:

٢٤- مركز الوثائق والمعلومات، صورة ضوئية من وثائق أرشيف رئاسة الوزراء

باسطنبول، تحت رقم ١ / ٢-١٦٦.

### ثانياً: المصادر العربية:

- ١- ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج٢، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، ١٣١١هـ / ١٩٦٢م.
- ٢- خير الدين الزركلي: الأعلام، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٣- محمد طاهر المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج٥، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

### ثالثاً: المراجع العربية:

- ١- أحمد سامح الخالدي: أنظمة التعليم، مطبعة بيت المقدس، ١٩٣٣م.
- ٢- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، ارسिका، ١٩٩٩م.
- ٣- سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٤- حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٥- عثمان عبدالجبار: التعليم الرسمي والتقليدي والأهلي عند المسلمين في بلاد الشام ما بين "١٨٧٨م - ١٩٢٠"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة دمشق، ١٩٨٠م.

### رابعاً: المراجع العثمانية والتركية الحديثة:

- ١- شمس الدين سامي: قاموس تركي، الطبعة الأولى، إستانبول: دار سعادت، ١٣١٧هـ.
- ٢- حجاز ولايتي سالنامه سي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مطبعة الولاية، ١٣٠١هـ.

٣- حجاز ولايتي سالنامه سي، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٣٠٩هـ.

4- M.z.pakalin: osmanli tarin deyim leri ve terimleri sozlugu, Istanbul, 1977, C.II .

#### خامساً: المراجع المترجمة:

١- إسماعيل حقي جارشيلى: أشرف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الطبعة الأولى، لبنان: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢- عمر فاروق يلماز: السلطان عبدالحميد خان الثاني بالوثائق، ترجمة: طارق عبدالجليل السيد، مراجعة: الصفصافي أحمد المرسي، الطبعة الأولى، إسطنبول: دار نشر عثمانلي، ١٩٩٩م.

#### سادساً: المقالات العلمية:

١- سهيل صابان: مدرسة دار الشفقة بمكة المكرمة، عالم المخطوطات والنوادر، العدد ٥، ج ١، محرم - جماد الآخرة، ١٤٢١هـ.

٢- جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية " ١٠٣٥هـ - ١٣٣٦هـ " مقال منشور في الدرعية، السنة الأولى، العدد الأول، محرم ١٤١٩هـ.

٣- عبداللطيف عبدالله بن دهيش: نظرة على تقرير المؤسسات التعليمية في الحجاز حتى عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٥م، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية، العدد ٥٧-٥٨، تونس، تموز " يوليو " ١٩٩٠م.

٤- محمد حسن العيدروس: الحياة الفكرية في شرق الجزيرة العربية في العهد العثماني " ١٨٧٠م - ١٩٨٢م " بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية، العدد ٥٧-٥٨، تونس، تموز، " يوليو " ١٩٩٠م.